بنية المكان في شعر إبراهيم الوائلي
(الريف إنموذجاً)

م٠م٠رعد هوير سويلم
كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان
أ٠م٠د٠كريم علكم الكعبي
كلية الآداب / جامعة الإمام الصادق(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد (ص) وعلى اله (ع) وأصحابه أجمعين . وبعد ..

إن ما دفعنا لدراسة موضوع (البنية المكانية في شعر إبراهيم الوائلي الريف نموذجا)، هو النزعة الإنسانية المحبة لأجواء الريف، التي طالما اعتملت في نفس الإنسان عامة، وفي نفس الشاعر خاصة؛ لان النفس الميالة للهدوء، والابتعاد عن صخب المدينة، كانت مدعاة لرجوعها لأجواء الريف، وطبيعته، وسكون ليله، وارتبطت بهاجس الطفولة، وتعلقها بالأرض التي انطلقت منها ٠

جاء هذا البحث ليؤكد أن شعر إبراهيم الوائلي، قد مثّل الريف فيه بنية مكانية امتزجت في نفس الشاعر ما عاش، ولم يستطع مغادرة مكانه الأول أينما حل وارتحل٠

اعتمد البحث في دراسته لموضوع البنية المكانية في شعر إبراهيم الوائلي على ديوان الوائلي المطبوع، وعلى جملة من المصادر، والمراجع، التي تناولت موضوع المكان، وكان أبرزها، جماليات المكان لجاستون باشلار، ومشكلة المكان الفني ليوري لوكمان، ومشكلة المكان في النص الأدبي لياسين النصير، فضلا عن بعض البحوث، والمقالات المبثوثة في طيّات الصحف، والمجلات، والمتعلقة بحياة الشاعر، واسرته٠

ولابد من الإشارة هنا إلى بعض الصعوبات، التي واجهت البحث٠ وبخاصة قلّة المراجع عن الشاعر، وشعره٠

يقع البحث بثلاثة مباحث تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة، تضمنت أهم النتائج، التي توصل إليها، ثم قائمة بمصادره، ومراجعه٠

وقد عرضنا في المبحث الأول سيرة الشاعر، والكاتب، والمؤرخ المبدع إبراهيم الوائلي؛ نشأته الأولى، ومولده، وتعليمه، وعلاقته بالآخرين من مبدعي جيله، ثم ثقافته ومؤلفاته، ووفاته ٠

أما في المبحث الثاني، فقد انتقل الحديث إلى صلب موضوع البحث وهو المكان في النقد الحديث، ومكانته، وقيمته، ثم عقدنا في المبحث الثالث دراسة فصلنا فيها الحديث عن الريف بوصفه جزئية من المكان في شعر إبراهيم الوائلي٠

وأخيراً، فهذا مبلغ الجهد، وتمامه، فإن أصبنا، فهو من فضل الله جل، وعلا، وإن أخطأنا، أو سهونا، فمن أنفسنا٠ فعسى ألا نُحرم أجر المجتهدين إن فاتنا أجر المصيبين.

والله ولي التوفيق

المبحث الأول

سيرة ذاتية

اسمه ونشأته:

هو إبراهيم بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الحسين بن محمد بن حرج الوائلي وحرج من أجداده وهو لقب إبراهيم وأسرته في النجف الأشرف في بداية نشر مقالاته، وأبدله إلى لقب الوائلي في أواخر الثلاثينات فهو أول شخص في عشيرته تلقب بلقب الوائلي، وسكن آل حرج النجف الأشرف في المائة الثالثة عشرة للهجرة، ونبغ فيهم علماء فقه، وكلام وبيتهم بيت علم ودين، وفي النجف الأشرف أجيال من الوائليين، مدحهم شاعرنا بحرارة في قصائده٠

وفي عراقة النجف ترعرع خيالاً، وذاكرة، وشعراً، وأديباً متمرداً، وفي صحف النجف نشر ثمراته، واسمع صوته الأول، وفي محافلها عرفت حنجرته وكانت متميزة في إنشاد الشعر[١].

مولده:

[١] ينظر: إبراهيم الوائلي شاعر وأديب ومحقق ومؤرخ عراقي، حميد المطبعي، جريدة الزمان، ع ٢٣٣١، س: ٢٠٠٦: ٤.

ولد إبراهيم الوائلي عام ١٩١٤[٢] في جزيرة الصقر بأرياف البصرة، وكانت قرية من قرى أجداده تغرق في الظلام، والجوع، والمرض[٣] وهو يحدثنا عن تلك الطفولة القاسية، التي عاشها، إذ يقول: ((يبدأ يومه الأول في كوخ من القصب لا ستائر له سوى أغصان الشجر، وسعف النخيل في قرية صغيرة تناثرت خصائصها مثل أخواتها من القرى الكبيرة على ضفاف دجلة أو شط العرب... هي حياة مضى شطر منها في ريف البصرة حيث تحتدم المآسي في القرى المكدورة))[٤] وهذه القرية تابعة لناحية شط العرب على الضفة الشرقية، مقابل كرمة علي في هذه القرية جذور عشيرته بني حطيط، التي سكن اوائلها في هور الحمار بين البصرة، والناصرية، وكان أبوه رجل دين يرأس أهم فرع من بني حطيط، وهم قسمان: قسم يرجع إلى ثقيف، وقسم يرجع إلى وائل بن ربيعة ومن هذا القسم أسرة إبراهيم الوائلي فكان يعتز بهذا النسب العريق وفي الوقت نفسه يعتز بفقر قريته، وفي هذه القرية أطياف أمه وأسرته الصغيرة، وشط العرب، وبساتين النخيل، وصيد السمك، وبؤس الفلاحين، ومواقد الشتاء، وقد إلتأم حولها الشيوخ، والشباب، وكيف يرى أولئك، الذين يحرقون تعاستهم في رمادها، ودخانها، وكان يسمع أخبار الانكليز، واحتلال البصرة[٥].

نشأته:

عاش إبراهيم الوائلي (رحمه الله) في أسرة دينية معروفة، ورافق والده إلى النجف الاشرف وهو من أصحاب الفضيلة قد درس ابنه اغلب العلوم، نظم الوائلي الشعر وهو ابن عشرين عاماً على الرغم أن والده كان يأبى ذلك، فكان ينشر شعره باسم مستعار على صفحات الصحف، والمجلات التي كانت تصدر أنذاك.

عاش إبراهيم الوائلي نمط الحياة، الذي أراده هو لنفسه واقتنع به لا كما أريد له... ولد في بيئة فلاحية وكان طبيعياً أن يكون فلاحاً إلا أنه تمرد... وكان والده رجل دين٠ فأحب أبوه أن يكون مثله، وأن يحذوه إلا أنه تمرد... كما أريد له أن يبتعد عن ساحة الشعر، فما رضي فتمرد.

عاصر الوائلي أحداثاً كثيرة، وقطع حياة ليس فيها ما يحصى إلا ذكريات الطفولة، والصبا لأنه قضاها، بين النخيل، والأشجار وعلى شط العرب، فكانت بيئته فلاحية فأخواله فلاحون وأمه بنت فلاح سقت النخيل بيدها وقد أدرك ذلك النخيل، الذي سقته أمه وجنت منه الرطب، ثم لم يكن عمره ليعينه على تذكر أحداث هذه الحقبة إلا أنه يعي سفرته إلى الكوفة، مع أهله بسفينة شراعية ومن الكوفة إلى النجف الاشرف[٦].

في البصرة:

---

[٢] معجم المؤلفين والكتاب العراقيين، صباح نوري المرزوك: ٩٢/١.
[٣] ينظر: رحلة العمر الطويل بين الشعر والصحافة والإذاعة، ذاكرة عراقية ملحق جريدة المدى، ع ١٩٥١، س: ٢٠١٠: ٦.
[٤] ديوان إبراهيم الوائلي: ٧/١.
[٥] ينظر: إبراهيم الوائلي شاعر وأديب ومحقق ومؤرخ عراقي، مرجع سابق: ٤.
[٦] ينظر: رحلة العمر الطويل بين الشعر والصحافة والإذاعة، مرجع سابق: ٤.

شهد إبراهيم الوائلي (رحمه الله) في البصرة البؤس، والفقر، والحرمان٠ وعرف مآسي الفلاحين، وما كانوا يلقونه آنذاك من الإضطهاد وكان يرى بعينيه الكثير منهم يبيتون بلا عشاء ولا يستر أجسادهم إلا القليل، والنادر، ومنهم من كان يستطيع شراء بعض الملابس المستعملة يتقي بها برد الشتاء٠ وهذه الحياة اللاغبة أثرت في تكوين إبراهيم الوائلي ثقافياً٠ وفي موضوعاته الشعرية، وفي الثلاثينات اتصل الوائلي (رحمه الله) بحكم بيئته بكثير من الأدباء، والشعراء من خلال جمعية الرابطة، التي أسست عام ١٩٣٣ وجمعية منتدى النشر التي أسست بعدها بقليل[٧] وكانت هذه الجمعيات النجف الأشرف لأبنائها ومنهم الوائلي[٨].

في النجف الأشرف:

رحل إبراهيم الوائلي بصحبة أبيه إلى النجف الاشرف، فيها تتلمذ على يده فدّرسه اغلب العلوم٠ وكان الابن في هذه المدة رفيقاً بوالده في حله وترحاله بين النجف الاشرف، والبصرة، والغراف، وفي أوائل الثلاثينات فتحت في القرية مدرسة ابتدائية وقبل فيها وكان في الصف الخامس الابتدائي، إلا أن والده سرعان ما أخرجه منها لأنه كان يريد له أن يكون رجل دين لا موظفاً في إحدى دوائر الدولة، وعاود حلقات الدراسة في النجف الأشرف٠ فكان يحضر البحث الخارجي تحت منبر الشيخ كاشف الغطاء، ومحمد شرارة، وحسين مروة، وظل بين البصرة، والنجف حتى عام ١٩٤٠[٩]٠ فكان (رحمه الله) نجفياً قلباً، وقالباً، لأنه استقى رؤاه من مدرسة الشعر الشعر النجفي، ونحت القصيدة في أجواء الإرادة النجفية فكان عراقياً نسج على منوال الإنسان العراقي المتوثب الروح الصاعد إلى المدى، وعندما اختمرت فيه الحاسية التاريخية اتجهت قصيدته إلى الإنسان النوع، والعام، وكان النجف، أو العراق، أو التاريخ تنصهر في إيقاع واحد ليغني، أو يبوح بأسرار القصيدة، وهو من الرواد تخرجت على يده أجيال بجامعة بغداد وعلّمهم كيف يمارسون حب الوطن في الأدب والبلاغة٠ وكان مؤرخ العصور والأجيال بحسب نظريته (الأدب انعكاس لانتفاضة الأمة) وبشأنه هذا كشأنه الأول، وأراد أن يضع للأجيال مفهوم الأدب الوطني كيف يكتب، وكيف يقرأ، وكان يقول أن الأدب هو، الذي يلد الضرورة، وأن الضرورة هي، التي تلد الأدب وسأله جيل لماذا هذا التخريج قال لهم: الحرية هي قاعدة الالتزام، وكتب على ضوء تخريجه النظري عشرات المقالات تحت عنوان (الأدب الملتزم)... الخ، وسمي في حينه (الكاتب المتمرد) منذ زمانه الأول تمرد على المفاهيم التقليدية في الأدب، والمجتمع وثار على تاريخ هش شبحي الإرادة، وسجن على تمرده مرتين الأولى في اثر ثورة الفلاحين في سوق الشيوخ عام ١٩٣٥ عندما نشر قصيدة تدين انحراف السلطة المركزية، وقتلها بؤساء الأرض، وسجن في المرة الثانية لأنه قرأ قصيدة في الإذاعة العراقية تمجد حركة مايس ١٩٤١ وتلعن سنابك خيل الاحتلال البريطاني[١٠].

---

[٧] ينظر: رحلة العمر الطويل بين الشعر والصحافة والإذاعة، مرجع سابق: ٦.
[٨] ينظر: إبراهيم شاعر أديب محقق مؤرخ عراقي، مرجع سابق: ٤.
[٩] ينظر: رحلة العمر الطويل بين الشعر والصحف والإذاعة، مرجع سابق: ٦.
[١٠] ينظر: المصدر نفسه: ٦

وكان إبراهيم الوائلي من أدباء الخط المستقيم يقول له الرصافي (رمزكَ واقع)[١١]ويمر عليه الجواهري ويأخذ منه قصيدة، وينشرها في جريدته (الرأي العام)، أو جرائده الأخرى وتمرد الوائلي على الأوضاع ليس في فوضى شاعر يبحث شهرة، إنما كانت النجف كلها تدخل إلى قلبه، فتحيله إلى لحظة، نار تتز، وتحرق، ثم تنذر أولئك، الذين يسيئون إلى قدر الشعوب[١٢].

في القاهرة:

كانت رحلته إلى القاهرة عام ١٩٤٥ للدراسة في كلية دار العلوم، ليست دراسة للتطوير الأكاديمي إنما هي رحلة ألقت فيه دفعة أخرى لرؤية عصر آخر من عصور الأدب ورؤية رواد الأدب العربي، ومجادلتهم وجهاً لوجه وحمل إلى القاهرة حصيلته العلمية دراسة النجف الفقهية وعدت هذه الوثيقة كافية لترشيحه إلى الكلية، ونجح بامتياز، ونال الليسانس عام ١٩٤٩ في الأدب العربي ثم نال الماجستير عام ١٩٥٦ وسجل رسالة الدكتوراه بعنوان التطور والتجديد في الشعر العراقي لكن لم ينل هذه الشهادة لظروف سياسية معينة٠ خلال شهور تعرف الوائلي على معالم القاهرة الثقافية٠ في بداية ١٩٤٦، أرسل أول قصيدة له إلى مجلس الرسالة فنشرت من غير تأخير ومن ١٩٤٧ إلى ١٩٥٢ كانت قصائده، ومقالاته تباعاً في الرسالة، ربما تتوالى الأعداد، واسمه لا ينفصل عن أي عدد منها، وفي أوقات يتناول بعض الكتب بالنقد، وقد يعقب على مفردات لغوية كالذي حدث بينه، وبين الدكتور عبد الوهاب عزام في لفظة (أطأد)، التي استعملت في مقالٍ له، وقد رد عليه ووافقه في أنها متبلورة الجذر لو لم يستعملها مسلم بن الوليد وأبو تمام، ثم نشر في مجلته (الثقافة) وفي (العالم العربي) و (الفجر الجديد) شعراً ونثراً ثم نشر في الفكر الجديد، والبلاغة والكتلة وصوت الأمة مقالات عن معاهدة بورتسموث ندد بها تنديداً وأغاظ أنصارها آنذاك وكان الوائلي قد دخل، مع الكتاب المصريين في نقاش نقدي من أهم مقالاته في الجدل:

١- هاجم العقاد في مجلة الفكر الجديد، التي أصدرها سيد قطب ورد عليه العقاد رداً عنيفاً.

٢- كتب مقالة جرت فيها مناقشة، بينه وبين الدكتور زكي مبارك في جريدة البلاغ، واستمرت المناقشة أكثر من عدد[١٣].

ثم يبدأ الوائلي رحلته في المجالس الأدبية المصرية رفيعة المقام المنتشرة في أحياء القاهرة وأول مجلس عليه ندوة للزيات وكانت تعقد في كل مساء اثنين من كل أسبوع في إدارة مجلة الرسالة في العِمارة، التي يملكها صاحب الرسالة احمد حسن الزيات٠ وكانت في قصر عابدين٠ ومن رواد هذه الندوة الناقد المعروف أنور المعداوي، والشاعر علي محمود طه المهندس، وتوفيق الحكيم، وثروة أباظة، وزكي نجيب محمود٠ وشهد الوائلي نقاشات هذه الندوة التي جرت بلا تعقيد، وبلا إثارة وصادقهم الوائلي، وتبادل معهم الرسائل بعد عودته إلى

[١١] ينظر: إبراهيم الوائلي، شاعر أديب، محقق، مؤرخ عراقي، مرجع سابق: ٤.
[١٢] م٠ن:٤ ٠
[١٣] ينظر: إبراهيم الوائلي شاعر أديب محقق مؤرخ عراقي، مرجع سابق: ٤.

بغداد، ومن الندوات الأخرى التي شهد وقائعها ندوة إبراهيم ناجي، وهو طبيب، وشاعر معروف، فقد أحب عراقية الوائلي وقدّر نبوغه الفكري، وندوة كامل كيلاني وكان يحضرها مع الشيخ محمد رضا الشبيبي وندوة المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر حيث تقرأ فيها الصحف المهجرية، والشعر المهجري وكان بين مدة، وأخرى يحضر ويسهم في الندوات خاصة التي تعقد في قاعة بورت التذكارية وهناك يستمع إلى بعض محاضرات طه حسين، وفي نادي الخارجين، ويستمع إلى محاضرات الدكتور محمد حسين هيكل٠ ومرة دعي إلى نقابة الصحفيين لقراءة إحدى قصائده في شهداء فلسطين٠ ولم يقتصر حضوره الثقافي على الجدل، وتبادل الخبرة في هذه الندوات إنما اخذ يمر إلى بيوت رواد الثقافة المصرية فنظم زيارات ودية إلى بيوت إبراهيم عبد القادر المازني، واحمد الشايب، وأمين الخولي، وكمال الحناوي، وسيد قطب، وامتد كذلك إلى المقاهي الأدبية في القاهرة مقهى الفيشاوي، ومقهى الحرية، ومقهى أزافتش في ميدان الإسماعيلية٠ وكان ملتقى الأدباء الفلسطينيين في هذه المقاهي وغيرها وتعرّف على خيرة الأدباء المصريين٠ وهم: عبد القادر القط، ومحمود حسن إسماعيل، ومحمود تيمور، وعبد الحميد يونس٠ وترك الوائلي في كل منهم أثراً من لغة وأثراً من معرفة عراقية أصيلة[١٤].

علاقته بالآخرين

تضاف إلى النجف الأشرف تفاعلات جيله الواحد بالآخر إذ أقام هذا الجيل مدرسة الشعر النجفي الحديث٠ وفيها توحدت النظرة إلى التاريخ، وفيها أيضاً روضت المعاني وهذبت القوافي ومن جيله من كان في عمره، ومنهم كان أسنَّ منه ومنهم من كان دونه في السن، وكلهم يلتقون في الإنشاد٠ وكانت النجف وحدها تتميز، وتختص في الإنشاد، ويقوم على حنجرته تؤدي الشعر بإيقاع، وترخيم معينين٠ وكانوا يسمرون في الشعر، ويجادلون وينقدون فلا يجزع احدهم بالنقد٠ وكانت إدارات الصحف، والمجلات حلقات صراع للشعر، وفنونه وممن كان تراباً للوائلي مرتضى فرج الله، ومحمد الهاشمي، والمحامي الشاعر محمد رضا السيد سلمان، ومن جيله الأدبي، الذين كانوا يكبرونه سناً محمد شرارة، ومحمود الحبوبي، وصالح الجعفري ومن جيله أيضاً محمد جواد السوداني٠ وقد توفي وهو شاب في مرض السكري وكان هذا الشاعر يجاري إيليا (أبو ماضي) وميخائيل نعيمة ،وشعراء المهجر٠ ومن جيله عبد الرزاق محيي الدين، والسيد خضر القزويني٠ وهو صناجة الإنشاد في النجف، وسيد نوري شمس الدين وعبد الكريم الدجيلي، ومحمد صالح بحر العلوم، والذي جعل مجلته (المصباح) ملتقى هذا الجيل٠ ومن لُداته أيضاً شاعر الإنشاد الأول في النجف عبد المنعم الفرطوسي إذ كان في أخرياته ضريراً يقرض الشعر، والحياة بأسلوب صوفي٠ وهؤلاء جيله جالسهم، وجالسوه وجميعهم ترنم بالحرية، تلك التي يسمونها: خالقة الرؤى[١٥].

ثقافته

يقول إبراهيم الوائلي في حديث: لم تكن في القرية، التي أعيش فيها مدرسة، ولا مدينة البصرة قريبة منها لتسهيل الدراسة لذا كلف والدي احد قراء القران الكريم وكان اسمه عمران حلو ففتح كتّاباً في القرية، وأدخلني

[١٤] المصدر نفسه: ٤.
[١٥] م٠ن:٤.

والدي فيه٠ وطلب من الآباء أن يغتنموا الدراسة لتعليم أبنائهم القرآن الكريم[١٦] وكان والده محمد، مربيه، وغارس حب اللغة العربية، والعرب في نفسه فذلك الشيخ الجليل، الذي تعهده صغيراً، ورعاه فتياً، ونظر إليه بعين العلم شاباً يافعاً، فقد كان إبراهيم الوائلي يقرأ العبارة، وأبوه يفسرها له.. تفسيراً سهلاً، وإذا أخطأ في قراءة كلمة، أو جملة، وهو دون العاشرة صحح له الخطأ٠ ولم يجد أي صعوبة في فهم الموضوع، واستيعابه، فدّرسه النحو في الأجرومية وقطر الندى، وألفية ابن مالك شرح ابن الناظم، ومغني اللبيب، وعلم المنطق..٠، وعلم البيان وعلم أصول الفقه، وغيرها من كتب التفسير، واللغة[١٧] توفي والده عام ١٩٥٦ فذرف عليه دمعه بحجم قصيدته في إثناء دفنه في الصحن الحيدري يقول:

أبتاه ذاب اللحن في شفتي دما
فأبى علىّ الحزن أن يترنما
تلك المقاطع وهي أعذب ما التقت
فيه الشتاء قد استحلت علقما
ما كان قيثاري ليرقد صامتاً
فوق الرمال وأن يبيت محطما[١٨]

ثم يذكر فضله العلمي عليه:

أنت الذي مهّدت الطريق لصاعدٍ ما اجتاز لولا نبض كفك سلما
عذبتني الفصحى لسان أبوةٍ حفظت ربيعة في الخيام وقشعما

لكن أبوه لم يكن يرضى له باقتناء أي ديوان من الشعر، أو أي ميل إلى نظم الشعر لأن ذلك في ميزانه، وميزان الأكثرية من رجال الدين يصرفه عن الدراسة الفقهية، التي قطع فيها شوطاً بعيداً لكن تركه وشأنه حين رأى قصائده تنشر في أمهات الصحف، وعدا عن أبيه فقد درس أصول علم المنطق على الشيخ محمد رضا المظفر، وفصولاً من علم الكلام، على مرجعية الشيخ عبد الكريم الجزائري، وفصولاً في الفلسفة على الفيلسوف المجاهد الشيخ جواد الجزائري وهؤلاء كلهم منحوه الإجازة العلمية، التي مهدت له الطريق للدراسة في القاهرة، إذ كان ينهمك في جمع المصادر في مكتبته وضمّ إليها بعض كتب أبيه منها: (شرح ابن أبي الحديد) ومعجم البلدان لياقوت، والمحاسن والمساوئ للبيهقي والمناقب لابن شهراشوب ثم ذهب إلى كتب أخيه الشيخ قاسم (ت ١٩٨١) الذي علّمه أوزان الشعر فلم يجد فيها غير ديوان أبي العتاهية ولم يكن يعجبه فاشترى مجموعة (العراقيات) وهي طائفة من الشعر للمجاهد محمد سعيد الحبوبي، والسيد حيدر الحلي، والسيد جعفر

[١٦] ينظر: رحلة العمر الطويل بين الشعر والصحافة والإذاعة، مرجع سابق: ٦.
[١٧] ينظر: إبراهيم الوائلي، شاعر أديب، ومحقق، ومؤرخ عراقي:٤ ٠
[١٨] ينظر: م٠ن٠

الحلي، والأخرس، وعبد الباقي، والكاظمي، وجواد الشبيبي، وكاظم الازري، والشاعر العاشق عباس الملا علي، وشرع إبراهيم الوائلي يقرأ ويستقرىء، ثم دخل الطريق من نهايته، فاشترى ديوان المتنبي، وحماسة أبي تمام حتى حفظ الشطر الكبير منها، واشترى بلاغة العرب في القرن العشرين وهي مجموعة من شعر المهجريين فتوافق، مع هذا النمط من الشعر؛ لأنه جديد في صوره وأشكاله فأحبه جيل الوائلي وتأثروا به[١٩].

عمله

بعد أن تخرج إبراهيم الوائلي في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم بعدها حصل على شهادة الماجستير عمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة بغداد، كما عمل محاضراً بقسم الدراسات العليا لقسم اللغة العربية[٢٠].

مؤلفاته

١- ديوان الوائلي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١,

٢- اضطراب الكلم عن الزهاوي، مط الأعيان، بغداد، ١٩٧١,

٣- ديوان علي الشرقي (جمع وتحقيق) صادر عن دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦,

٤- شرح الفصيح في اللغة لابن حيان (تقديم)، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠,

٥- الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، مط المعارف، بغداد، ١٩٧٨,

٦- من أغلاط المثقفين، بغداد، ٢٠٠٠[٢١].

٧- ثورة العشرين في الشعر العراقي، مط الأعيان، بغداد ١٩٦٨,

٨- لغة الشعر العراقي، مط الإرشاد، بغداد ١٩٦٤[٢٢].

٩- من بحوثه المنشورة في المجلات الأدبية:

- ❖ حرب طرابلس الغرب وأثرها في الشعر العراقي.
- ❖ منزلته من الشعر في مصر والشام.
- ❖ لغة الشعر العراقي من القرن التاسع عشر.
- ❖ الزهاوي وعمر السلطان عبد الحميد.
- ❖ من اللقيط إلى اليازجي[٢٣].

وفاته

مات الشاعر الأديب المحقق المؤرخ العراقي إبراهيم الوائلي بعد رحلة طويلة من العلم، والمعرفةن مع الشعر، والأدب سنة ١٩٨٨م[٢٤] ففجعت الأوساط الأدبية عصر الجمعة الخامس عشر من نيسان بوفاته بعد

---

[١٩] إبراهيم الوائلي شاعر أديب محقق مؤرخ عراقي، مرجع سابق: ٤.
[٢٠] ينظر: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، عدنان سعدي، ٢٢٦/١.
[٢١] معجم المؤلفين والكتاب العراقيين، مرجع سابق: ٩٢/١.
[٢٢] ينظر: إبراهيم الوائلي شاعر أديب محقق مؤرخ عراقي، مرجع سابق.
[٢٣] الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، مرجع سابق: ٢٢٧/١.

معاناة شديدة من النوبات القلبية، التي سلبته صحته، وراحته ولكنها لم تستطع أن تضعف عزمه، أو توهن إرادته في مواصلة البحث والدرس وتقديم الخبرة والرأي.

غادر الوائلي الكرسي الجامعي ليخلد إلى الراحة، والدعة ويضرب بينه، وبين الأدب حجاباً صفيفاً بل اتخذ الصحافة منبرا جديدا فبعد أن كان نفعه مقصوراً على طلبته في حجرات الدرس، وقاعات المحاضرات عم نفعه حتى شمل آلاف القراء الذين يتابعون دراساته، ونقداته اللغوية، التي يطالعهم بها من خلال مرصده اللغوي[٢٥] فكانت علاقة الوائلي بالصحافة قديمة ومتجددة فقد أولى الصحافة عنايته، وجه لها اهتمامه من حيث رغبته الملحة في النشر فيها استقبلته الصحافة هي الأخرى بقبول حسن، ففتحت له صدور صفحاتها، ونشر فيها العديد من مقالاته في صحافة الثلاثينيات، والأربعينيات[٢٦] فرحم الله الوائلي فان فراقه قد أبكى عيون محبيه.

المبحث الثاني

المكان في النص الشعري

❖ المكان لغة:

تؤكد أغلبية المعاجم اللغوية العربية على أن المكان ((في الأصل تقدير الفعل مفعل موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال فقالوا مكنا له وقد تمكن))[٢٧] ونستطيع القول إن اسم المكان هو اسم مشتق للدلالة على موضع وقوع الحدث، أو الفعل حيث جاء في القران الكريم ((ورفعناه مكاناً عليا))[٢٨] وإن نماذج اسم المكان في المعاجم العربية كثيرة، وذات تنوع ودائماً ما يدل معناها على موضع وقوع الحدث، ومن هذا المنطلق لابد لنا أن نميّز بين مصطلحين قد يتواردان متداخلين أحياناً٠ وهما اسم المكان، وظرف المكان ((ولعل النحويين يقصدون بالأول النوع القياسي وبالثاني النوع السماعي))[٢٩].

والذي يعنينا من هذه التخريجة اللغوية، ان مصطلح المكان قد اخذ بعداً دلالياً في المدونات النقدية التي جعلت منه صيغة تدخل في أنساق تعبيرية٠ ومنها الشعر الذي اخرج (المكان) من بعده اللغوي المتعارف عليه إلى بعد رمزي يتمتع بعناية كبيرة على مستوى الموضوع أو الصورة داخل نسيج النص، إذ يحاول الشاعر استدعاء المكان لغرض نمو النص ولذلك لا يمكن الاستغناء عنه في إنتاج المعنى، أو الدلالة.

---

[٢٤] ينظر: تاريخ الأسرة النجفية آل حرج، الشيخ المحقق عباس محمد الدجيلي، صحيفة العراق السياسي، س٢٠١٠: ٧.

[٢٥] ينظر: إبراهيم الوائلي الأديب الشاعر والباحث المحقق، ذاكرة عراقية ملاحق جريدة المدى اليومية، س٢٠١١: ٥.

[٢٦] ينظر: إبراهيم الوائلي، مرجع سابق: ٧١.

[٢٧] العين، الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي:٣٨٧/٥.

[٢٨] مريم/ ٧.

[٢٩] ظرف المكان في النحو وتوظيفه في الشعر، احمد طاهر حسين، مقالة في كتاب جماليات المكان، جماعة من الباحثين، دار قرطبة، ط٢، ١٩٨٨: ٢٥

إذن يمثل المكان أهم عنصر من عناصر الانتماء الإنساني، الذي يترتب عليه خصوصية هويته٠ وعن طريقه يمكن لنا استكشاف سلوك الإنسان، وطراز معيشته، ووجدانياته، فهو يلقي الضوء على علاقة الإنسان به ومن هذا المنظور فلقد تعددت وظائفه، والسياقات التي يجترحها لأنه معطى متعين، ولأن الشعر يسعى لتفجير دلالات المعطيات المتعينة، ومنها المكان، لذلك خلق هذا المسعى وعياً بحقيقة المكان وأهميته مما خلق عندنا إحساساً بألفته وجمالياته٠ وهذا الإحساس هو تجذير للانتماء الإنساني، فالإنسان كائن مكاني يتجوهر حسب تجسيده له.

إن معرفتنا بالمكان، والكشف عن خصوصيته، وأبعاده هو بحد ذاته الكشف عن الإنسان، وحدود فاعليته على صعيد الوظيفة الشعرية، التي تتيحها لنا منظوماته، ثم تُصبح المقاربة المهمة بالكشف عن عوالم الشعر، لأنه يمثل المرجعية التي عن طريقها نستنطق تفاصيل النص والكشف عن توافقاته المكانية ومن ثم يدفعنا هذا الاستنطاق للبحث عن هوية الإنسانن وانتمائه وتحولات كينونته.

إن الشعر كثيراً ما يأخذ أدواته التعبيرية، والتشفيرية من المكان لأنه يتدخل في لاشعور الذات الشاعرة والذي تعدّه فضاءً مشحوناً بالدلالات.

❖ جدل المفهوم:

تعدّ البنية المكانية بوصفه مفهوما نقديا، مفهوماً حديثاً تصدى له الكثير من النقاد، والباحثين للكشف عن جدليته وبات التعامل معها تعاملاً جوهرياً استند على فكرة مفادها: ان المكان حيز هادي لذات إنسانية ترى فيه شرطاً من شروط وجودها، وأحد أهم العناصر، التي تؤثر فيه مما يترتب على وفق ذلك أن هناك تلازماً كبيراً بينهما، ولذلك لا يمكن أن يجرّد الإنسان عن مكانيته مهما كانت طبيعتها، كما أنه لا قيمة للمكان دون ذات شاغلة له كتلازم حتمي، ومتفاعلة معه لأنه هو الذي ((يدل ويرشد لوجدنا المرتبط بذاكرته))[٣٠].

إذن المكان يُنظر إليه بوصفه نظاماً إنسانياً متكاملاً، يرتب فيه الإنسان جميع مجالاته الاجتماعية، والاقتصادية، والمعرفية، ولذلك تنطوي علاقتنا به ((على جوانب شتى، ومعقدة تجعل من معايشنا عملية تجاوز قدرتنا الواعية لتتوغل في لاشعورنا))[٣١] وتبدو هذه الحقيقة عندما نتعامل، مع أي نص أدبي، ومنها النصوص الشعرية، التي تنعكس فيها البنية المكانية بشكل واضح ويمكن عن طريقها إدراك الأنساق الضمونية لجميع اتجاهاتها، ومن هذا المنطلق نشأت الأحكام النقدية، التي اتخذت من البنية المكانية قاعدة لها ((وهكذا يمكن القول إن بنية المكان تصبح نموذجاً لبنية مكان العالم٠ وتصبح قواعد التركيب الداخلي لعناصر النص الداخلية لغة النمذجة المكانية))[٣٢] أي بمعنى ان البنية المكانية هي مفهوم ملازم لكل نص، وداخل في تركيبه في جميع المستويات٠ ومنها المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، فالبنية المكانية هي ((حضور لتاريخ المكان خلال

[٣٠] البنية المكانية، قراءة في شعر عيسى حسن الياسري، ماجد الحسن : ١١.
[٣١] مشكلة المكان الفني، يوري لوكمان – ترجمة سيزا قاسم، نقلا عن كتاب جماليات المكان ، دار قرطبة : ٦٣.
[٣٢] مشكلة المكان الفني، يوري لوكمان، مصدر سابق: ٦٩.

اللغة وقد وجدت أن طبيعة السياق السردي، والشعري في أن المكان يفرض لغته على النص))[٣٣] لذلك فإننا ندرك المكان لا لأنه حيزٌ نشغله، بل ندركه لأنه فكرة تترتب عليها اللغة التي هي أهم معطى من معطيات التجربة الشعرية وهذا يعني ان تصوراتنا عن المكان هو تصور عن الذات الإنسانية في تحولاتها المستمرة، لأن المكان الوسيط الذي يفصح عن خواص تلك الذات وتطلعاتها.

إن الكشف عن البنية المكانية يقودنا بالضرورة إلى الكشف عن حقيقة الوعي الإنساني وهواجسه وحدود تمظهر كل منها ومساره في التجربة الشعرية، فالمكان دائماً ما يتجلى في الوعي الشعري كقيمة تحقق هيمنتها وعن طريقها نستبصر مكامن هذا الوعي لكونه يتداخل مع نشاط الإنسان، وهكذا يتحول المكان من كونه ظاهرة متعينة إلى معنى له دلالته في النص.

❖ أهمية المكان في النص:

إن علاقة الشاعر بالمكان هي علاقة تأثير وتأثر، ولذلك تجترح هذه العلاقة مساحة من العطاء، والتداخل٠ وقد تتجذر هذه العلاقة لدرجة الالتصاق الحميمي، الذي يترك سماته في الرؤيا الشعرية بهذا المعنى٠ فالمكان ((إطار موجود بالضرورة منذ الأزل))[٣٤] ولأنه واقع عياني ومحسوس٠ فأنه يبقى الممر ((الذي يفضي للإنسان، وهو معادلة مأهولة خاضعة للجدلية التداخلية بينهما، فإذا غاب المكان كوجود عياني، فأنه يبقى مفترضاً (متخيلاً) في الذاكرة الإنسانية وبشكل الحقيقة الأبدية، التي ينتسب لها الإنسان ويحقق كينونته بها))[٣٥] فهو وجود يستمد حقيقته، ومفهومه من علاقته بالإنسان، الذي يرى فيه شرط إمكان وجوده، وأن الإحاطة به هي إحاطة بالإنسان، ووصف واقعه ومن هذا المنطلق ندرك قيمة المكان، الذي انطوى على جوانب معقدة ومتشابكة، إذ لا يوجد مكان لم يشغله الإنسان مما حمّل دلالات كثيرة نتجت عنها تصورات تداخلت في النص الشعري، وإن فقدان القيمة المكانية يتبعه فقدان الخصوصية للنص، لأن الصورة الشعرية إذا ما أريد لها التأثير بالمتلقي، والتواصل معه هو بتركيزها الدائم على هذه القيمة، أو البنية، لذلك نرى أن الشعر، الذي ينبثق من المكانية شعر جدير بالدراسة، والقراءة؛ لأننا عن طريقه نستطيع تحديد توجهات الإنسان ورؤاه، وفي ذات السياق فأن مكونات النص الشعري ومنها المكونات الدلالية هي البحث الدائم عن قيمة المكان، التي نكتشف عن طريقها هذه المكونات، ويمكن أن نؤكد أن المكان كواقع معطى هو جزء من وجودنا، وفي المحصلة النهائية ان هناك تداخلاً بين المعطى، والدلالات، التي يحملها النص، مع وجود تحولات جمالية فاعلة هي اثر لهذه المحصلة.

فالجدل ((بين ما هو داخل في بنية النص وما هو خارجي يستعيره النص وفي كلتا الحالتين يضفي من تكويناته على سياق النص مفاهيم قد تفرض متغيرات النص، فيوسعه ويغيّر من مساراته وقد تكون ملائمة للسياق فيجعله منسجماً ويتم التخطيط الواقعي له))[٣٦].

---

[٣٣] شحنات المكان، ياسين النصير: ٩.
[٣٤] الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي:٥٣ .
[٣٥] البنية المكانية، قراءة في شعر عيسى الياسري، مصدر سابق:١٢.
[٣٦] شحنات المكان، ياسين النصير، مصدر سابق: ٩.

إذن البنية المكانية، بنية ملازمة لكل تجربة شعرية مهما تكن سعة هذه التجربة، وحدودها، فلقد أسهمت هذه البنية في اتساع حركية النص، وتحولاته المضمونية من خلال الأنساق، التي يستدرجها الشاعر مما شكلت حصوراً٠ وبات التعامل معها، وفحص منظوماتها المفاهيمية مدخلاً مهماً لفهم النص، الذي يمكننا بالتالي إلى فهم المقومات النصية، التي جاء بها الشاعر.

❖ الشعر والذاكرة المكانية:

إن الذاكرة معطى فاعل في التجربة الشعرية لكونها مصدر مهم في استدعاء الوقائع، والأحداث، التي تكون ذات علاقة بوعي الشاعر، مما يصنفها على أنها جزء من مضامينه الشعرية، بهذا التصور فأن استدعاء الذكريات تتم على وفق خيارات يراها الشاعر شرطاً من شروط وجوده، الذي يكشف عن تصورات كثيرة، ومدى انسجامها مع حياته، ورؤاه٠ فالذاكرة الشعرية إذن ذاكرة تصورية استنطاقية ترتبط بحسب الحالة الانفعالية للشاعر ، وبناءً على ذلك فأن المكان لا يخرج عن هذا التصور لأنه يحفظ الكثير من الذكريات، التي تشكل عالماً مهماً في نسيج النص الشعري، فالمكان ((هنا هو كل شيء حيث يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة))[٣٧].

إن عودة الشاعر لذكرياته المكانية هي عودة لنشأته الأولى، لطفولته لذا يصح القول إن الشاعر ينتسب لماضيه، الذي هو استنطاق للمكان، وهذا الانتساب هو الذي يحدد هوية الشاعر ويسلط الضوء على فضاعاته الشعرية، فكثيراً من يشعر بالسعادة عند الولوج إلى ذكرياته، التي حفظها المكان والتي كثيراً ما تتسرب إلى النص ((فالشعراء وحدهم هم القادرون على إمدادنا بوثائق ذات طبيعة نفسية دقيقة في لمحات الذاكرة الدقيقة))[38].

ولأن المكانية حاوية لمشاعر إنسانية عن حوادث مضت، فأنها لم تكن متباعدة، أو مفككة، بل مركبة على وفق نظام دقيق ومترابط، لذا نجعل كل مرحلة مكانية يمر بها الشاعر عالماً متكاملاً له مميزاته، وقانونه الداخلي، وهذا المحكم هو الذي يعطي للشاعر القدرة التصويرية للمكان.

إن الذاكرة الشعرية لا تستدعي المكان بوصفه أبعادا هندسية، بل هي تنطلق في أبعاده المضمونية، ولحظاته الجوهرية، التي تكون محفزاً توثق فيه انفعالات الشاعر ((لذلك لم تكن ذاكرة المكان أكثر من نواة تتجمع حولها الأنساق الرؤيوية في محاولة الشاعر الأزلية لاحتواء عملية تحول الأزمنة ورغبته في إلغاء سطوة المكان وتكثيف الأبنية الدلالية عن طريق مقابلتها تمثيلياً وإبراز الأنظمة الثقافية المتضادة لها))[٣٩].

إذن الذاكرة الشعرية غير معنية بتفاصيل المكان إلا إذا كان له وقع دلالي مرهون بوجدان الشاعر، الذي يمضي لذكر هذه التفاصيل بدافع جعل الكلمة قيمة لها سطوتها في تجربته بشقيها الحياتي والشعري.

---

[٣٧] جماليات المكان، جاستون باستلار، ترجمة غالب هلسا:٤٧.
[٣٨] م٠ن:٩٤.
[٣٩] دلالات المكان الشعري – دراسة في شعر حسب الشيخ جعفر، ناجي عباس مطر، رسالة ماجستير مخطوطة:٢٦ ٠

والحقيقة أن البنية المكانية في الشعر تكشف عن الكثير من الدلالات، التي تستحضر وهي مقترنة بذاكرة الشاعر، وهي تتويج لوجوده مما يضفي عليها معاني كثيرة، ومتعددة تكون مرجعاً مهماً في بناء الصورة الشعرية، وما يترتب عليها من مواقف، ومضامين، ورموز شعرية، فالشاعر يعزز من ذاكرته المكانية لغرض نمو الشعر وثرائه لأنه يحول المعطيات المتعينة إلى شبكة من المعاني تكشف عن تأملاته ورؤاه.

من هنا نرى ان أسطورة النموذج المكاني هو مرآة تعكس وعي الشاعر كما أنه يبحر في ذاكرته مما يضفي على المكان معنى إنسانياً ويتخذه دليلاً لانتمائه، وهويته.

❖ جماليات المكان:

إن دراسة المكان بوصفه ظاهرة لها تأثيرها المباشر على الذات الإنسانية يمنحنا تصوراً يمكن الركون إليه في المحاولات النقدية، فإننا نأمل من وراء هذه المحاولة الكشف عن الأعماق الإنسانية التي تؤدي بالتالي للكشف عن المكامن الشعرية.

إن هناك حالة من حالات التجاذب بين الشاعر، والمكان تصل إلى حدود العلاقة المطلقة٠ فالمكان عنصر فاعل في بنائية النص، وجمالياته، ولأن الشعر هو الانتقال من معاينة الظاهرة المكانية، والصعود بها إلى عالم الرمز، والتجريد٠ وهذا الانتقال يرافقه تصاعد في الرؤيا الشعرية، فليس من قبيل المصادفة أن ينتمي الشاعر لمكانيته، ويعزز من مستوياتها الجمالية، فالوعي الجمالي من شأنه أن يفتح أفقاً للكشف عن جوهر النص على اعتبار أن الشعر من الأعمال الفنية، التي تتجلى فيها الخبرة المجالية، وأن التقارب بين معطيات المكان، وبنائية النص هو أهم مقصد من مقاصد تلك الخبرة، ولأن النص الشعري منظومة دلالية معقدة تجد صداها في الواقع المتعين٠ فأن الوعي الجمالي سيكون الطريقة الأمثل للكشف عن تلك المنظومة، بهذا المعنى يمكن الكشف عن جماليات المكان في شعر (إبراهيم الوائلي) وهو موضوع بحثنا هذا، إذ يقول الشاعر:

ترنيمة البلبل عند الصباح قد نعشت فيَّ روح الأهل
وبهجة الحقل ونور الاقاح قد غمرا قلبي بنور الأمل[٤٠]

هنا يندمج الشعر بالحياة الريفية، فلم يكن الشاعر معزولاً عن بنيته المكانية وجمالياتها، الأمر، الذي جعله يصور معالم الريف بكل دقة مما عكست صورة المكان رؤيته الشعرية، فما هذا الوصف إلا مظهر من مظاهر الحنين إلى المكان أي إلى طفولته، وذكرياته.

يمثل هذا الحنين تجذراً في أعماقه لكون الريف في تصور الشاعر نقيضاً للمدينة لأنه الأبهى، والأكثر براءة وسلام، وهذا ما يمكن رصد رؤية الشاعر عن المدينة إذ يقول:

فعدت كما شاء جور الحياة بعيداً عن العالم الأول
وأمسيت رهن الأسى حائراً كأني عن الناس في معزل[٤١]

---

[٤٠] الديوان: ١٥.
[٤١] م٠ن:٣٦.

إذن يرتبط الشاعر بجماليات الريف بسبب جفاف المدينة ويرافق هذا التصور الجمالي حنين دائم، فلم يكن مقصوراً على فترة زمنية من حياته، بل امتدت العمر كله، وكلما يزداد قبح المدينة يبحث عن جماليات الريف، وقد كان هذا الإحساس هو بسبب محبته للريف بفضائه المفتوح، وخضرته الدائمة.

إن الذي نريد التأكيد عليه، أن الشاعر يجسّد معالم الجمال المكاني، الذي تحفل به ذاكرته٠ وهذا التأكيد يتناسب، والمزاج الرومانسي، الذي يعيشه الشاعر مما يفصح عن توتره النفسي بإزاء ما يراه في المدينة.

❖ المكان وإنتاج المعنى الشعري:

لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن المكان – ومنذ أقدم العصور – صار مادة شعرية مهمة بل هو أهم معطى من المعطيات المتعينة، التي دخلت في إنتاج المعنى الشعري ((وهنا تجدر الإشارة إلى وجود شعراء كثيرين، عرب، وغير عرب كانت الأمكنة تحتل موقعاً مهماً في أشعارهم – والأمكنة الطللية – والأمكنة، التي تعبرها قوافل الظاعنين في الجاهلية هي المثال الأبرز في تراثنا الأدبي على كيفيات استصدار الشعر، واستنباته من المكان))[٤٢].

ولذلك ظهرت أهمية المكان في المدونات النقدية، لاهتمام الشعراء المتزايد به لأنه جزء مهم من تقنيات إنتاج المعنى، وأن الإحاطة به، وفهمه هي ذاتها الإحاطة بالشاعر وفهم مقتضياته الشعرية٠ لأن هناك نوعاً من أنواع التداخل بينهما، وعن طريق هذا التداخل نبيّن علاقة الشاعر، وحدود تجسيده الشعري مما يستوجب علينا الانتقال بالمكان بوصفه واقعا إلى المكان الفني، الذي يزخر بالرموز، والجماليات.

لم يعد الشعر في منأى عن المعطيات المتاحة – ومنها المكان – لما لها من قابلية كبيرة في تقديم فضاءات من شأنها التأثير في نمو المعنى، وحراكه و أنها تدخل في تدعيم، وتحسين أدوات الشاعر في الإنتاج الشعري، وتوصيله٠ ولذلك صار الشعر من أكثر الفنون ارتباطاً بالمكان من وتفرده بأساليب تعبيرية ومستويات فنية شكلّت فاعليته ولذلك لم تتوقف البنية المكانية عند هذا الحد بل قادت الشعراء إلى التميز، والتفرد.

لقد سعى هذا البحث إلى رصد الواقع العياني للمكان من خلال الشعر، وأن هذا الرصد هو وصف لأشكاله الوجودية، وكيفية تناوله شعرياً و تعددت في ضوء ذلك التقنيات الشعرية، وتجلياتها.

يبقى المكان الميدان الرحب للإفصاح عن شخصية الشاعر، وأدائه الشعري، الذي تتجلى فيه رؤاه وبفعل هذا الإفصاح تحول المكان إلى لغة، وصور مما ابتعد به عن الصياغات الجاهزة٠ ومن الطبيعي أن ذلك سيؤدي إلى توهج الشعرية، واكتمالها التعبيري، والتوصيلي.

وإذن لم يعد المكان على وفق التصور السابق مكملاً شعرياً، بل أنه يدخل في صميم المعنى الشعري، ومفتاحاً مهماً في فهم العملية الشعرية، فللمكان تجليات كبيرة لها خطورتها في المعنى والتي تغذي النص بشحنات رمزية، وسيميائية تسهم في حركة النص، لذلك فأن فهم الشعر يتوقف على مدى فهمنا للمكان وانجازاته داخل المعنى.

---

[٤٢] قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح: ٦٣.

وبناء على ما سبق ذكره يبقى المكان ((من أكثر الأنساق الفكرية في بناء الشعر الحديث تعقيداً، فهو ليس كياناً حاملاً لكل التواريخ الصغيرة، والكبيرة فقط، وإنما هو اللحظة الزمنية التي أرى فيها هذه التواريخ وقد انبتت بطريقة منهجية، هو العقل، الذي لا بديل له لحضانة تاريخ البناء العقلي، والتأمل الحسي للإنسان))[٤٣].

إذن يتمظهر المكان في الشعر بوصفه معنى له خصوصيته لأنه يمتلك حياة الشاعر، الذي يستوحي منه رموزه، التي تكشف له أعماق المعنى، وأن الشاعر، الذي يدرك أعماق المكان يحظى بمضامين تثري نصه.

المبحث الثالث

الريف في شعر إبراهيم الوائلي

مساحات خضراء تموج على أديمها الحياة... انهار تبتسم لها الأرض، وطيور تكمل السماء بألوانها... تلاحم فذ بين السماء، والأرض... وحقول تشقى لتدحر الجوع، هذا هو الريف، عالم يمتزج فيه التعب بالحياة وهدوء لا يعرف صخب المدن.. فكل شيء في الريف يتجدد، وانطلاقاً من هذا التصور فلقد شغل الريف حيزاً كبيراً من اهتمام الشعراء ورؤيتهم فصار عندهم رمزاً للخصب، والطفولة، والهدوء، وصار ملجأ يلوذون من صخب الحياة وضجيجها... ومكاناً يفرغون فيه أزماتهم، ومعاناتهم... فحين تمل أنفسهم من المدينة يولون وجوههم نحو الحقول لذا صار رمزاً يحتفون به، ويستدرجونه إلى قصائدهم، وتجسد في معطيات شعرهم.

❖ الريف لغة:

[٤٣] مشكلة المكان في النص الأدبي، ياسين النصغاير: ٣٩٤.

جاء في المعاجم اللغوية العربية أن الريف هو: الخصب والسعة في المأكل، والجمع أرياف، والريف ما يقارب الماء من ارض العرب وغيرها، قال أبو منصور: الريف حيث يكون الخضر والماء، والريف أرض فيه زرع وخصب، ورافت الماشية أي رعت الريف.

وفي حديث فروة بن مسك: وهي أرض ريفنا وميرتنا وتعريف القوم (أريفنا وتريفنا أي صرنا إلى الريف، وقول الراجز:

جواب بيداء بها خروف
لا يأكل البقل ولا يروف
ولا يرن في بيته القليف[٤٤]

❖ الريف في الذاكرة الشعرية:

كثيراً ما يبحث الشاعر عن رمز تتفاخر فيه الدلالات، التي تجسد رؤاه الشعرية أصدق تجسيد، إذ تعيش هذه الرموز في حياته، وتصبح جزءاً صميمياً منها لتؤكد عمق هواجسه، التي تشكل قطباً عميقاً في تجربته، وحين بدأ يصبح رمزاً شعرياً أخذ يستقطب رؤيا الشاعر وجهده وبدأت مفاتنه الجزء المهم في تأملاتهم، الأمر الذي جعل الشاعر يقف منه موقفاً يعبر فيه عن تذمره، وتمزقه وعذابه من المدينة ((وكان ضيق الشاعر العربي بالمدينة يبدو – في الكثير منه – مظهراً من مظاهر الحنين الأصيل إلى الطبيعة، وهو يمثل في حقيقة الأمر جذراً رومانتيكياً عميقاً في نفسه ليس في مقدوره التحرر منه بسهولة. إن الريف بالنسبة لشاعر من هذا النمط يقف نقيضاً للمدينة، النقيض الأبهى، والأكثر خضرة، وبراءة))[٤٥].

بهذا المعنى فأن الشاعر يطلق كل قواه الحسية، والذهنية ليتمتع بهذا الامتياز العجيب أي الريف، الذي تتجسد خصوصيته بوصفه بنية مكانية في الكثير من قصائد الشعراء، وليس من قبيل المصادفة أن هذه القصائد لها حضورها عند المتلقي، الذي تستنطق فيه عوالم النقاء، والبراءة وهما عنده قيمتان ينجو بهما من الضياع، والهموم. إن رمز الريف تمتزج فيه المحسوسات، والمدركات المرئية واللامرئية. وهذا التلازم يلقي بظلاله على الشعر، والشعراء و يوظفونه توظيفاً إنسانياً متعالياً ولعل ذلك يفسر لنا أهمية هذا المكان، الذي يرتفع بالحساسية الجمالية إلى أرقى مراتبها ولذلك اهتم شعراء العربية المحدثون بهذه البنية بسبب شغفهم بالحياة الريفية وهي نزعة إنسانية تواقة لبراءة الطبيعة، وجمالها، وما تنطوي عليها من بساطة الحياة، وثرائها.

❖ الشاعر والريف:

[٤٤] لسان العرب، ابن منظور:١٢٨ – ١٢٩.
[٤٥] في حداثة النص الشعري، د. علي جعفر العلاق: ١٦٥.

نشأ الشاعر في بيئة ريفية منحته إحساساً ببساطة الحياة، وطراوتها، ولقد تداخلت هذه البنية في تجربته حتى لتحسب أن شعره يتماهى، وعمق هذا التداخل، مما جعلنا الشاعر نتحسس عن طريق شعره ماهية المكان الريفي، الذي جسّد حضوره في ماضي طفولته، ولذلك جاء انتخابنا للريف بوصفه مؤشرا لفحص المضامين الشعرية، وكيفية التعامل معها باعتبار أن الماضي المكاني يتمظهر بكل إشكالياته في رؤيا الشاعر، وهو انعكاس لأحساسه ووجدانياته.

إن حضور المكان في شعر إبراهيم الوائلي هو حضور يمتد عميقاً في ذاته وتلتقي في تشكيل شعري يرتكز على جمالية عالية في الوصف، مع شحنه بدلالات تتمحور حول حب الشاعر لهذا المكان، الذي ترسخ في ذاكرته، ونتيجة لهذه الجدلية اختار الشاعر مفرداته بعناية فائقة مكنته من تشخيص عالم الريف بكل فضاءاته، ولذلك صار هذا المكان مفتتح لفهم الشاعر وحياته فهو كثيراً ما يؤكد لنا عمق هذه العلاقة:

في زوايا الريف لا أبرحها أنا قد عشت كما عاش أبي[٤٦]

وفي بيت آخر من القصيدة ذاتها يقول:

فاسألوا الأرياف عني إنها حفظت لي دونكم عهد الإخاء[٤٧]

في البيتين ما يؤكد حقيقة هذه الجدلية، فأصبح المكان عنده رديفاً حياً للحياة، والذي تجسد عبر عيشته فيه مما حفظ له أخلاقياته وطهّر روحه من أدران التصنع٠ إن هذا الاعتراف يحيلنا بلا أدنى شك إلى حقيقة مفادها أن الإنسان يلجأ إلى الريف بدافع الحماية وهو استجابة لاشعورية تدفعه إلى المكان الأصل، مكان الطفولة، والماضي البريء، ويتلازم هذا اللجوء بسبب ضغط المدينة على الشاعر فباتت مهمة الصورة الشعرية هي استنطاق لمكنوناته، ومحاولة للقبض على حقيقته الإنسانية، وهو شعور بالانتماء إلى تلك المساحات الخضراء المفتوحة على الحياة.

إن الشاعر يستدرج المكان ليؤسس ارتباطاً روحياً يمنح النص فرصة للكشف عن تفاعلات الشاعر الحياتية، ولذلك لم يكن المكان / الريف عند إبراهيم الوائلي مجرد مساحة تدور فيها الوقائع، أو ينجذب إليها لحضورها الواقعي، بل المكان عنده هو ذاكرته، التي تعيد له توازنه الروحي.

ورأوا في الريف ما يعجبهم من جمال وسكون وسلام[٤٨]

إذن هناك اعتبار لحقيقة الشاعر ونزوعاته الذاتية، التي ترى في الريف انعطافته الإنسانية الكبرى، انعطافة الجمال، والهدوء، والسلام، وتمثل تلك الانعطافة قناعة الشاعر المطلقة بعلاقته المكانية وهذه دلالة على

---

[٤٦] الديوان : ٤٤.
[٤٧] -الديوان: ٤٥.
[٤٨] -م٠ن: ٥٨.

جفاف المدن، لذلك يبقى المكان / الريف منطلقاً رؤيوياً ووجودياً يحقق فيه الشاعر ذاته، ولذلك لا يمكن فصل هذا المكان عن النسيج الشعري للشاعر.

سحر النفوس وفتنة الأرواح ريف تطرزه يد الفلاح[٤٩]

الشاعر في الريف يستعيد روحه خوفاً من الانطفاء، الذي يلاحقه مما يزداد سمواً، ويشتعل شعره بالمشاعر النقية، إن هناك تداخلاً إنسانياً مدهشاً بين الشاعر، والمكان يتصاعد برمته في تشكيل شعري عالي الانسجام.

إن إبراهيم الوائلي قد حوّل الكثير من المعطيات الواقعية الريفية إلى صور مدهشة تكشف عن عوالم لا يستطيع شاعر غيره اكتشافها لأنها جزء من كينونته، ولذلك يمكن تتبع مسارات البنية المكانية، التي تكشف عن عوالم الشاعر الداخلية حتى أن وجوده في المدينة قد حمل معه جذوره الريفية من إعادة هيكلتها شعرياً:

إن شعري صورة تنبئكم عن حياتي فخذوا شعري مثال
واقرأوا سيرة أيامي به فهو لم يحفل بوهم أو خيال[٥٠]

إلى قوله في قصيدة أخرى تؤكد ما ذهبنا إليه:

وأعيش في حضن الطبيعة ما بين الخمائل شاعراً حرا[٥١]

فالشاعر كثيراً ما يعمق ارتباطه بالريف، وشعره ينبئ بذلك، وان قراءة تلك السيرة، التي لن تحفل بوهم هي عيشة في أحضان الطبيعة، التي خيرها كشاعر حر، وهذا ما يؤكد أن البنية المكانية تتجذر في الأنساق الشعرية مما ترك انطباعاتها المضيئة عند المتلقي، فالشاعر ينقل الرؤيا الشعرية من المعطى المألوف إلى تصور مدهش٠ وهو بحد ذاته تأسيس جمالي يقترن بآليات تعبيرية محاولة منه باغناء النص كاشفاً عن علاقته المكانية.

إن الشاعر إبراهيم الوائلي يستغرق في ذكر أدق تفاصيل المكان الريفي محاولة منه لتكريس هذا المكان في ذاكرته أولاً ومن ثم في ذاكرة المتلقي ولذلك اخرج المكان الريفي من خصوصيته إلى حدود المكان العام، والمطلق.

إن الشاعر لا يغيّر من وقائع الريف، بل يؤكد حقيقته واستعادة هيكلته بطريقة استبصارية لها خاصيتها الشعرية مما حوّل جميع الأشياء الريفية إلى رموز لها دلالاتها المتحركة في النص الشعري، لقد وظف الشاعر هذه الرموز توظيفاً على درجة عالية من التماسك على الرغم من إسرافه الكثير في الوصف، فهو كثيراً ما يتعامل، مع الجزئيات لربطها بالنوع المكاني .

---

[٤٩] م٠ن: ٩٢.
[٥٠] م٠ن: ٤٥.
[٥١] الديوان: ٤٦.

❖ سيميائية المكان الريفي:

يؤكد الشاعر الوائلي في مقدمة ديوانه أن حصيلة عمره ((في كوخ من قصب لا ستائر له سوى أغصان الشجر وسعف النخيل))[٥٢] بهذا التوصيف وعلى الرغم من بساطة المكان إلا أنه ينطوي على ثراء دلالي يمكن تتبع مساراته في عموم تجربة الشاعر، فالريف يمنح الشاعر قدرة في تنوع رؤاه الشعرية٠ لأنه مكان دائماً ما يتجدد مما يرافق هذا التجديد مفردات دالة لها صلتها المكانية وما يترتب عليها من استنطاق عوالمها٠ ولأن النص الشعري عبارة عن شبكة معقدة من الدوال٠ ولذلك يمكن القول أن شعر إبراهيم الوائلي وتحديداً قصائده عن الريف تنماز بتشكيل دلالي متنوع يستمد فاعليته من التجدد المكاني وهذا النشاط السيميائي يدخل القارئ إلى عوالم النص، والتي كثرت فيها الصور، التي تصف الريف باعتباره محوراً مهماً من محاورها، ولذلك يلجأ الشاعر إلى ذكر التفاصيل الدقيقة في الصورة الشعرية، التي تدخل في فهم الوصف من مثل قوله:

نغمات الطيور في الأوكار ألهمتني روائع الأشعار
أنا كالحقل حين يبهج زهواً بجميل الورود والأزهار
أنا كالنهر صافياً لم تكدر حنفيته شوائب الأقدار[٥٣]

إن مفردات من مثل (طيور – حقل – أزهار – نهر ... الخ) هي مفردات ريفية بامتياز دالة على النقاء، والصفاء، والهدوء، وهذه المفردات / الدوال قد توزعت في فضاء النص وتسعى لإثبات شيء واحد هي (المكان / الريف) الذي تشكّل عند الشاعر بهذه الكيفية السيميائية، التي يتداخل فيها المكان، مع الدال بلغة شفافة تتناسب،وطراوة المكان وثرائه.

مما تقدم أن انسجام النص الشعري قدم لنا تراكيب سيميائية منسجمة، وجوهر النص ورؤاه وهذا ما يقودنا إلى عدّ النص، نصا ريفيا بامتياز على وفق الدوال، التي تم ذكرها في أعلاه، والتي توحي إلى نمذجة المكان الريفي، وان متابعة الدوال، وتطورها سنجد حقيقة هذه النمذجة، حيث يقول الشاعر من القصيدة ذاتها :

انظري الزهر قد تبسم للفجر وأبدى نضارة في النبات
وانظري هذي الجداول تجري بين خضر المروج والربوات
واسمعي همسة النسيم على الزهر وبين الخمائل الضاحكات
والغصون التي تدلت على النهر بأندى الظلال والثمرات[٥٤]

---

[٥٢] الديوان: ٧.
[٥٣] م٠ن: ١٣ ٠
[٥٤] الديوان: ١٣.

إننا نجد الكثير من التراكيب الشعرية الدالة على الريف وهي كثيرة في شعره من مثل (الزهر المبتسم للفجر، نضارة النبات، خضر المروج، همسة النسيم...الخ)، وهذه التراكيب بينها صلة وثقى بالمكان، الذي عيّنه الشاعر، ولقد جاء بهذه التراكيب ليلفت انتباه المتلقي إلى البنية المكانية وما تنطوي عليها من دوال ندرك عن طريقها سعة رؤاه الشعرية في استنطاقها للمتعين المكاني.

إن الرموز الشعرية المكانية عند الشاعر الوائلي لم تكن عصية على الفهم، أو التأويل، بل قدّم قصائده بوضوح دون أن يوهم المتلقي، الأمر، الذي سهّل على الباحث تقصي الدوال المكانية، ومتابعة الكيفية، التي جاءت بها مع استثمارها في متابعة تطوره الشعري، والكشف عن آليات نموه وتناسل الدوال فيه.

بالنظر إلى هذا يمكن القول أيضاً أن الهيمنة المكانية عنده شكلّت ثنائية مع المدينة، وأن هاجس التناقض بينهما هو الذي سيفصح عن تلك الهيمنة، ولذلك فأن النص عند الوائلي ينتقل من العام/ المدينة إلى الخاص / الريف، وعن طريق هذا الانتقال ندرك بنية التداخل، أو التناقض، بين المكانين٠ فالشاعر يرى المدينة مجرد لهو، ولعب مما يترتب عليه عدم مسايرتها٠ والدخول إلى عوالمها وبالذات ما تتميز به من أماكن خاوية، وما دلالة (القصور) التي هي بالضد من (الأكواخ) ؟ ما هي الا مؤشر عن عدم العيش فيها، إذ يقول:

كم في القصور رعاديد حياتهم مليئة بصنوف اللهو واللعب[٥٥]

إن الشاعر يرى في الريف مكاناً للتعب لغرض صناعة الحياة، فعالم (الكوخ) هو بالضد من عالم (القصور) وأن الفروقات واضحة بينهما إذ يؤكد الشاعر:

وكم تضم زوايا الريف من بشرٍ يطوي الليالي في كوخ من القصب[٥٦]

إن هذا التناقض بين المكانين هو، الذي شكّل موقف الشاعر ودفعه إلى اللجوء للريف، موطنه الأول، الذي يخفف عنه متاعب الحياة، ويزيح عن رأسه ضجيج المدن، المدن التي كثيراً ما يصفها بالخواء والتي يؤكد حقيقتها بحسب التصور الآتي:

وما أنا والمدن الصاخبات تضج باصواتها الخاوية
أحب الطبيعة بنت السكون تخفف وجدي وآلاميه
ففيها نشأت وعن جوها أخذت دروسي وأنغاميه
بعيداً عن العالم المستجد وما فيه من صور واهيه[٥٧]

إذن الريف عند الشاعر محطة وجدانية تتكاثف فيها الدوال بكل قوتها، وهذا التكاثف هو استنهاض للذكريات، والعودة إلى بنيته المكانية الأولى، التي تخفف عنه الآلام والتي اخذ منها دروسه، وشعره على اعتبار

---

[٥٥] م٠ن: ٢٦.
[٥٦] الديوان: ٢٧.
[٥٧] م٠ن: ١٣٢ – ١٣٣.

أن المكان بكل ((تجلياته ورموزه وعلاماته سحره الطاغي في القول الأدبي عموماً والشعري خصوصاً، إذ يمثل مرجعية مركزية وأصالة جوهرية، ولاسيما في تلك القصائد التي تنحو نحواً ذاتياً في إجراءاتها الشعرية))[٥٨].

ولذلك بقي الريف في هاجس الشاعر هاجساً يستنطق ذاكرته وذكرياته حيث تزاحم هذا الهاجس في نصوصه وامتدت بنية الريف ودلالاته بشكل عفوي إلى عتبة النص حيث عنون الشاعر قصائده كالآتي (بين النخيل، في الكوخ، في زوايا الريف، في حضن الطبيعة، حياة الريف، تحية الريف) ولعل ورود البنية المكانية في العنوان ما يمنحها قيمة تسهم في تشكيل النص الشعري عنده، وعدّ العنوان دلالة مكثفة تسعى لتجسيد الدوال، وعلاقتها بمرجعياتها المكانية، التي في ضوئها يمكن من تحليل قصائده.

❖ الليل والريف:

إن نزوع الشاعر في ذكر الليل مقترناً بالريف بهذه الكثافة العالية، التي جاءت بها قصائده لهو دليل لا يقبل الشك على أن هناك هيمنة مكانية قد ألفها الشاعر، وخبر تفاصيلها، إذ عدَّ الليل النافذة، التي يتطلع من خلالها على الأسرار ليعلنها٠ فهو يخرجها من السكونية إلى الحركية والتي عاين الشاعر عن طريقها سلوك الناس، وأهواءهم، إذ يقول:

أنا أسطو على الطبيعة ليلاً فأُري الناس سرها في النهار[٥٩]

فالليل عند الشاعر هو موطن الأخيلة، والتذكار، ومنبع الحنين، والأشواق، ولذلك تأسست رموزه، ودلالاته المقترنة بالوحدة، والعزلة٠ وهو انسحاب من خشونة الحياة، واضطرابها في المدينة، فالليل عند الشاعر هو ((رمز أساسي، يقترن بهذه الحساسية المتوحدة، فالليل موطن الأسرار ومنبع الشعر والإلهام، والملاذ الذي يلوذ به الشاعر المتوحد في غربته واغترابه، وذلك على نحو مماثل بين السعي في الليل والرقاد به والسعي وراء القصيدة والاتحاد من خلالها – بالحقيقة المطلقة))[٦٠].

وهكذا يؤكد الشاعر هذا المسعى باستنطاق الحقيقة المكانية، وما يترتب عليه من رؤى، وأن نافذة الاستنطاق هو الليل، الذي بث عن طريقه شكواه إذ يقول:

أقطع الليل ما ليلي سوى ألم الشكوى وشكوى الألم[٦١]

من السهل ملاحظة الألم، الذي ينتاب الشاعر بوصفه ذاتا مستوحدة، وكيف يتجلى هذا الألم في شعره، لذا عدّ الشاعر الليل الوسيط، الذي يمكن عن طريقه تأمل المكان، ولذلك صار الليل عنده الفضاء الخارجي، الذي يتغير بحسب تغيّر أحوال الشاعر الحياتية وهي تعاين مكانيتها الأصل.

---

[٥٨] العلامة الشعرية، قراءات في تقانات القصيدة الجديدة، محمد صابر عبيد: ١٢٧.
[٥٩] الديوان: ١٣.
[٦٠] رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر، جابر عصفور: ٢١.
[٦١] الديوان: ٤٤.

إن الدلالة، التي ينطوي عليها ضمير (الأنا) في البيت السابق، تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الشاعر إنسان مستوحد وما الليل إلا دليله للكشف عن المكان ليفض أسراره، وكأن الليل هو مستودع السر.

وعلى وفق هذا التصور فأن الريف يعد البنية الداخلية الخاصة بالشاعر، الذي كثيراً ما يبحث لها عن معنى في الوجود حتى من خلال الليل، لهذا فالشاعر يستنطق أسرار الليل، الذي هو بحد ذاته استنطاق للبنية المكانية.

فيا ريف أنت هواي القديم وأنت على البعد أحلاميه
وأنت مع الليل نجوى الخيال وأنشودة الزمن الباقيه[٦٢]

إن هذين البيتين الآنفين يقودانا إلى توحد الزمن بالمكان من خلال وحدة الليل، والريف٠ وبالقدر، الذي كان فيه إبراهيم الوائلي كائناً مكانياً، وإن بنيته المتعينة هي (الريف) وأثر الوحدة الآنفة صار الشاعر كائناً زمنياً من خلال مناجاته لليل، وهذا التوحد له دلالته في التشكيل الشعري، إذ ربط الشاعر (الحلم) الذي هو قرينة الليل (بالذاكرة) التي هي قرينة المكان على وفق عملية جدلية تحصل ((بين آليات عمل الذاكرة وآليات عمل الحلم في إطار المكونات المركزية لمفهوم (الكون الشعري) إذ تقوم آليات عمل الذاكرة بتموين الحالة الشعرية، والوضع الشعري، برصيد جوهري للتكوين، والتشكيل، بما ينطوي عليه هذا الرصيد من (ذكريات) لها حضور إنساني، ووجداني زمكاني فاعل في حياة الذات الشاعرة))[٦٣].

لذلك تداخلت عند الشاعر الوائلي الذاكرة بالمكان، والحلم بالزمان محاولة منه لاستعادة الماضي بعد إحباط كبير تعرض له خلال حياته، حيث ضاع كل شيء، وما هذه المناجاة (لليل والريف) إن هي إلا محاولة لاستعادة ما فقده، إذ يكتفي الشاعر بالبنية المكانية، ليحرض الحلم ليلاً لكي يتصدى لهذا الألم:

ضاق بي ليلي فلا تنتظروا غير شكواي وفي الشكوى جواب
إن أحلامي ضاعت وانطوت بين فقر وخيال وسراب[٦٤]

على الرغم من ضيق الحلم، وأحياناً ضياعه، فهو يقودنا إلى بنية الشاعر المكانية، التي هي بمثابة (يوتوبيا) فقدها الشاعر٠ وكثيراً ما يتوقف حلمه على هذه البنية، ولذلك نرى الشكوى عنده دائماً ما تجيء من الحاضر المكاني أي (المدينة) إلى الماضي المكاني أي (الريف) وتنمو الثنائيات الزمانية (ماضي / حاضر) والمكانية (مدينة / ريف) وتنطوي هذه الثنائيات على أكثر من دال يصل مداه إلى الحزن، والشكوى.

إذن الريف عند الشاعر يعده منبعاً ثراً للدلالات، والحكايات الشخصية، والعامة٠ ولقد ظهر سحر هذه الحكايات وبريقها ليلاً، فليل الريف مكتنز وثر بمثل هذه الحكايات ولذلك يحاور الشاعر الليل وهو ممتزج

---

[٦٢] الديوان: ١٣٣.
[٦٣] العلامة الشعرية. محمد صابر عبيد، مصدر سابق:٢٢٩.
[٦٤] الديوان٤٤ ٠

بالنشوة، والألم، والذي رصد عن طريقه تفاصيل حياة الشاعر ورؤاه وتصوراته، إلا أن هذه الرموز على الرغم من كثافتها إلا أن البعض منها ذو دلالة ضيقة، وبسيطة تمثل قوله:

أنا في الليل والضفادع حولي حاشدات بكل فج عميق
قد نسيت الكون فلم تغفُ عيني لحظة من صياحها والنقيق[٦٥]

في وصف الريف، والليل كثافة دلالية، وترميزية جيدة تنبىء عن طبيعة الشاعر إن الوصف المذكورة آنفا لا ينطوي على دلالات عميقة، بل هي صورة باهتة لا توتر شعري فيها، ولكن الشاعر جاء بها لأنها جزء من بنية مكانية، ونقل صورتها كما هي بحيث انها لا تفصح حتى عن حالته النفسية، وما يترتب عليها من توهج شعري، وعلى الرغم من ذلك، فأن هناك أبيات شعرية وحدود معاناته منها:

كم أقضّي الليل والهم مقيم في الحشا ما بين طيات الفؤاد
دامي المقلة ذا طرف كليم حظه في الليل دمع وسهاد
ويك رفقاً أيها الليل البهيم بمعنّى لم يذق طيب الرقاد[٦٦]

تلك المقارنة بين المقطعين المذكورين آنفا تنسجم، وتصوراتنا عن قوة الوصف وثرائه، أو ضعفه، وجفافه، ومع ذلك فإن الوصف لا يقف عائقاً أمام فعل الشعر في استنطاق المركبات المكانية ومنها (الليل).

إن الجمل الشعرية في المقطع في أعلاه مكتظة بالوجع، والأسى، والسهر، وهي مشحونة بذات شاعرة تتطلع، وتراقب، وتصور سبب انتمائها للتجربة المكانية المشحونة بالبساطة، والألفة٠ من تتراكم فيها الرؤى، وتتسع، ولذلك يتمظهر المكان عند الشاعر في دلالة (الليل)، مما هيأ شبكة من الدوال المكانية، ومناخاً حيوياً عمّ طريقه يمكن لنا استبصار البنية المكانية (الريف) بشتى أبعادها.

إن ما نريد تأكيده في هذه المقاربة النقدية، هي تمكّن الشاعر من رصد البنية المكانية والذي وفر لنا الإمكانية للأمساك بجماليات الريف، والكشف عن عوالمه من خلال تلاحمه بوصفه مكانا، مع الليل بوصف زمنا، ولكن هذا لا يدل على عدم تمكن الشاعر من أدواته الشعرية، بل نرى في الكثير من قصائده البساطة وعمق العفوية في تفجيره للطاقات التعبيرية، وما يترتب عليها من دوال٠ وخلاصة القول إن دلالة (الليل) كانت الطريق المهم في مطابقة البنية المكانية عند الشاعر إبراهيم الوائلي.

الخاتمة:

[٦٥] الديوان: ٢٦.
[٦٦] م٠ن: ٢١.

وفي ختام هذه الرحلة الريفية المميزة في رحاب شعر إبراهيم الوائلي، آن الأوان لنبين أهم النتائج، التي تمخض عنها البحث، وهي كالأتي:

- وجد البحث أن ارتباط الشاعر بالمكان الريفي نابعاً من هاجس طفولته، التي كثيراً ما انحنى إليها، وهو في غيبوبة التحامه بالحياة وصراعاتها، التي لا تنتهي٠
- تبين لنا أن الشعر كثيراً ما يأخذ أدواته التعبيرية، والتشفيرية من المكان؛ لأنه يتدخل في لاشعور الذات الشاعرة، والتي تعده فضاءً مشحوناً بالدلالات٠
- لا تستدعي الذاكرة الشعرية المكان بوصفه أبعاد هندسية، بل هي تنطلق في أبعاده المضمونية، ولحظاته الجوهرية، التي تكون محفزاً توثق فيه انفعالات الشاعر٠
- لم يكن (المكان/ الريف) عند إبراهيم الوائلي مجرد ساحة تدور فيها الأحداث، أو ينجذب إليها حضوره الواقعي، بل المكان عنده هو ذاكرته، التي تعيد له توازنه الروحي٠
- إن توظيف إبراهيم الوائلي(المكان/ الريف) في شعره، محاولة منه لتكريس هذا المكان في ذاكرته أولاً، ثم في ذاكرة المتلقي ثانيا، ولذلك أخرج المكان الريفي من خصوصيته إلى حدود المكان العام، والمطلق٠
- إن شعر إبراهيم الوائلي وتحديدا قصائده عن الريف، تنماز بتشكيل دلالي متنوع يستمد فاعليته من التجدد المكاني، وهذا النشاط السيميائي يُدخل القارئ إلى عوالم النص، التي كثرت فيها الصور، عن الريف بوصفه محورها المهم٠
- شكلت الهيمنة المكانية عند الوائلي ثنائية مع المدينة، وان هاجس التناقض بينهما هو الذي سيفصح عن تلك الهيمنة، فالنص عندما ينتقل من (العام/ المدينة) إلى(الخاص/ الريف) وعن طريق هذا الانتقال ندرك بنية التداخل، أو التناقض، بين المكانين٠
- شكل الريف عند الشاعر منبعاً ثرّاً للدلالات، والحكايات الشخصية، والعامة، ولذلك نجده يحاور سحر هذه المفردات وبريقها ليلاً، اذ يشكل الليل طريقاً مهماً في مطابقة البنية المكانية عنده٠

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم٠
- البنية المكانية في شعر عيسى حسن الياسري، ماجد الحسن، مركز الإمام الصادق، ط١، ٢٠١٠م٠
- جماليات المكان، جاستون باستلار،ترجمة غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد، (د٠ت)٠
- ديوان الوائلي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م٠

- رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٨م٠
- الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١، ١٩٥٥م٠
- شحنات المكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١١م٠
- ظرف المكان في النحو، وتوظيفه في الشعر، أحمد طاهر حسين، نقلا عن كتاب جماليات المكان، جماعة من الباحثين، دار قرطبة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م٠
- العلامة الشعرية، قراءات في تقنيات القصيدة الجديدة، محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١٠م٠
- العين، الفراهيدي، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م٠
- في حداثة النص الشعري، علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م٠
- قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح، دار الشرقيات، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م٠
- لسان العرب، ابن منظور، ضبط نصه وعلق حواشيه:د٠ خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م ٠
- مشكلة المكان الفني، يوري لوكمان، ترجمة سيزا قاسم، نقلا عن كتاب جماليات المكان، جماعة من الباحثين، دار قرطبة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م٠
- مشكلة المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٦م٠
- معجم المؤلفين والكتاب العراقيين(١٩٧٠-٢٠٠٠)، صباح نوري مرزوق، منشورات بيت الحكمة، المطبعة العربية، بغداد، ٢٠٠٢م٠

الرسائل الجامعية

- دلالات المكان الشعري، دراسة في شعر حسب الشيخ جعفر، ناجي عباس مطر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥م٠

الصحف والمجلات

- إبراهيم الوائلي الأديب الشاعر، والباحث والمحقق، ذاكرة عراقية، ملحق جريدة المدى، س٢٠١١م٠
- إبراهيم الوائلي، شاعر، وأديب، ومحقق، ومؤرخ عراقي، حميد المطبعي، جريدة الزمان،ع ٢٣٣١ س ٢٠٠٦م٠
- تاريخ الأسرة النجفية آل حرج، عباس محمد الدجيلي، جريدة العراق السياسي، س٢٠١٠م٠

- رحلة العمر الطويل، بين الشعر والصحافة،والإذاعة، ذاكرة عراقية، ملحق جريدة المدى ع ١٩٥١، س ٢٠١٠م، ٢٠١١م٠